ماشِطةُ ابْنةُ فِرعونَ

يُحكى أَنَّهُ في زَمنِ فِرعونَ مِصر كَانَ يَعيشُ رَجلٌ وَزَوجتهُ مِنَ المُؤمنينَ الأَتقياءِ، كان لهماخمسة أطفال.

وكان زوجها من العاملين عند فرعون، وَكانا يَكتمانِ اَيمانهمَا، وكُلَّمَا وجَدا إِنسانٍ فيهِ بِذرةَ خَيرٍ واطْمأنَّا إِليهِ عَرضَا عَليْهِ الإِيمانِ بِاللهِ الوَاحدِ الأَحدِ. لَكنَّ الحَذرَ لا يُنجي مِنَ القَدرِ. والدُّنيا دَارُ ابْتلاءٍ يَسعدُ فيها مَن نَجحَ في الامتِحانِ.

وبَينما كَانتِ المَرأةُ تُمشِّطُ شَعرَ بِنتِ فِرعونَ وَقعَ المِشطُ مِن يدِها، فانْحنتْ تَتناولهُ قَائلةً باسمِ اللهِ .

فَانْتبهتِ ابنةُ فِرعونَ إلى قَولِها ، وَكَأنَّها استحسنَتهُ.

فَابْتسمتْ بِوجهِ الماشطة تَشْكرُها عَلى إيمانِها القَويِّ:

تَقصدينَ أَبي - الإلهَ العَظيمَ – أَليسَ كَذلكَ ؟.

تَبسمَّتِ المَاشِطهُ بوَجْهِ الفتاةِ، وَرَأتِ الوَقتَ مُناسباً لِلمصارحةِ بالَحقيقةِ والدَّعوةِ إلى اللهِ.

فامرأةُ فِرعونَ نَفسُها آمنتْ باللهِ رَبًّا وَاحداً لا شَريكَ لَه، وبِموسى عَليهِ السَّلامُ نَبيًّا، وَكفرتْ بِزوجِها فِرعونَ، وَسألتِ اللهَ تَعالَى أَن يُنجيَها مِنْ فِرعونَ وَعملِهِ، وَأنْ يبنيَ لَها بَيتاً في الجَنَّةِ ، فَلمَ لا تَكونُ اْبنتُها مِثْلُها ؟!

فَقالتِ المَرأَةُ: بَلْ أقصِد بِاسمِ اللهِ خَالقِ السَماواتِ وَالأرضِ، رَبِّ العالمينَ، رَبِّي ورَبَّكِ وَرَبَّ أَبيكِ.

فَقالتْ الفتاةُ مُحتدَّةً : مَاذا تقولين يا امرأة ؟

فَقالتِ المَاشطةُ بهدوءٍ واتِّزانٍ : إنَّ أباكِ بَشرٌ مِثلي وَمثلُكِ يا ابْنَتي ، لا حَولَ لَهُ ، ولا قُوَّةَ ، ومَا فِرعونُ إلا رَجُلٌ كَبقيَّةِ الرِّجالِ يَأكلُ ويَشربُ ، وَينامُ ويَستيقِظُ ، ويَمرَضُ ويَصِحُّ ... إنهُ مَخلوقٌ يا ابْنتِي ، فَلا تَغُرَّنَّكِ المَظاهرُ

الكَاذِبةُ الخَادعةُ .

فَقالتِ الفَتاةُ مُستَاءةً ممَّا سَمعتْ عن أَبيَها: لَأَشكونَّكِ إِلى أَبي ما لَمْ تَعودِي عَنْ قَولكِ هَذَا .

فَقالتِ المَاشِطةُ : بَلْ تَعِسَ أَبوكِ، فهوَ مُتكبِّرٌ لَا يُؤمنُ بِيومِ الحِسابِ، فَوصلَ الخَبرُ إِلى فِرعونَ ، فَامتلأَ غَضباً، كَيفَ يُوجدُ فِي قَصرِهِ مَنْ يَكفرُ بهِ ؟

اسْتدْعَى فِرعونُ المَاشطةَ وَقَالَ لَها : أَصحيحٌ مَا قَالتهُ الفَتاةُ، أَيَّتُها المَاشطةُ؟!

فَقالتْ : نَعمْ أَيُّها المَلكُ، فَلَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحدهُ ، لا شَريكَ لَه .

فَقالَ مُهدداً مُتوعِّداً : أَلكِ رَبٌّ غَيرِي ؟.

فَقالتِ المَاشطةُ : ربِّي وَرَبُّكَ اللهُ الَّذي في السَّماءِ؛ أَيُّها الفِرعونُ . فَقالَ : لَأَقْتُلنَّكِ إِنْ فَعلتِ .

فَقالتْ : لِكلِّ أَجلٍ كِتابٌ، وإِلى اللهِ المَصيرُ .

فَقالَ فِرعونُ : أَزوجُكِ صَابئٌ مِثْلكِ ؟.

قَالتْ : زَوجي مُؤمنٌ مِثلِي . فَجيءَ بِالزَّوجِ ، فَأعلنَ شَهادةَ الحَقِّ المُدوِّية عَلَى مَسْمعِ الجَميعِ، أَشْهدُ أن لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَحدهُ لا شَريكَ لَهُ . وَالفَراعنةُ فِي كُلِّ زَمان وَمكانٍ لَا يَحبونَ أَنْ يسمعُوا قَوْلَ الحــقِّ، ولا يُقرونَ بِها ، وَيُعذِّبون أَصحابهـــا ويَقتُلونَهمْ .

فَأمرَ فِرعونُ أَن تُوقدَ النَّارُ في حُفرةٍ كَبيرةٍ وَجاءَ بِوعاءٍ كَبيرعَميقٍ، وَملأَهُ بالزَّيتِ، وَعندمَا غَلى الزَّيتُ كَثيراً، قَالَ لِلزَّوجينِ: سَأُلقي بِكُما وَبِأَبنائِكُما في هَذَا الوِعاءِ إذَا لَمْ تَعودَا إِلى رُشْدكما.

رَفَض الزَّوجانِ وَقَالَا لِفرعونَ:

إِنَّ لَنَا عِنْدكَ حَاجَةً.

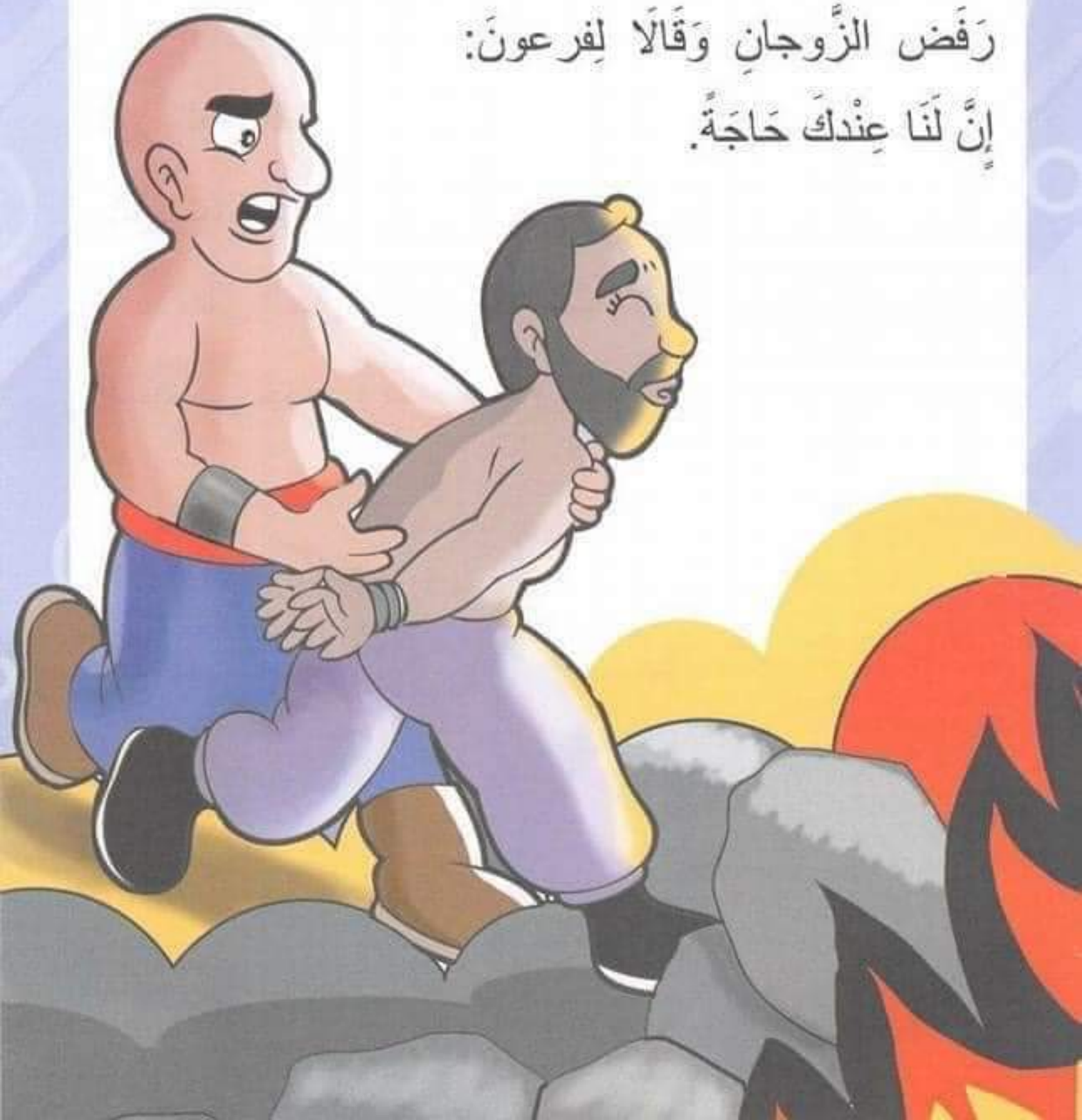

فَقالَ فِرعونُ: مَا هِيَ؟ قَالا: أَنْ تَضعَ عِظامُنا جميعاً، وَتدفنِهُ في حُفرةٍ وَاحدةٍ .

وَأُلقِيَ بالرَّجُلِ أَوَّلاً في وِعاءِ الزَّيتِ المَغلي، فَكانَ رابطَ الجَأشِ ، نَديَّ اللِّسَانِ بِذكرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

ثم بدأوا يلقون بأولادها واحداً تِلوَ الآخر، وَعندما جاءَ دَورُ الولد الصغير الخامس وانتزعوهُ من بين يديها ليلقوهُ بِالزَّيت، وَعندَها نَطَقَ الرَّضيعُ قَائلاً لأُمِّهِ: اثْبِتي يا أُمَّاهُ فَإنكِ عَلى الحَقِّ، ثم أُلقيت فَثَبَتت الأُمُّ لتَفوزَ الأُسرةُ بالنَّعيمِ المُقيمِ في جِوارِ رَبٍّ مُحبّ رَحيمٍ.

فَقالَ فِرعونُ: مَا هِيَ؟ قَالا: أَنْ تَضعَ عِظامُنا جميعاً، وَتدفنِهُ في حُفرةٍ وَاحدةٍ .

وَأُلقِيَ بالرَّجُلِ أَوَّلاً في وِعاءِ الزَّيتِ المَغلي، فَكانَ رابطَ الجَأشِ ، نَديَّ اللِّسَانِ بِذكرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

ثم بدأوا يلقون بأولادها واحداً تِلوَ الآخر، وَعندما جاءَ دَورُ الولد الصغير الخامس وانتزعوهُ من بين يديها ليلقوهُ بِالزَّيت، وَعندَها نَطَقَ الرَّضيعُ قَائلاً لأُمِّهِ: اثْبِتي يا أُمَّاهُ فَإنكِ عَلى الحَقِّ، ثم أُلقيت فَثَبَتت الأُمُّ لتَفوزَ الأُسرةُ بالنَّعيمِ المُقيمِ في جِوارِ رَبٍّ مُحبّ رَحيمٍ.